تاريخ علم النفس وتطوره

محاضرة رقم 01

1- نظرة تاريخية حول علم النفس في العصور القديمة

تمهيد : تساءل الإنسان في منذ أقدم العصور عن الطبيعة الإنسانية كما يلي :

- ما الذي يجعلني أتصرف على هذا النحو أو على تلك الصورة أو السلوك ؟
- ما معنى الأحلام التي تراود الإنسان ؟ لماذا سلوك الأفراد يختلف في ما بينهم ؟ فكل هذه التساؤلات بطبعها تثير إجابات مختلفة حسب طبيعة تفكير البشر في ذلك الزمان كما كانو يتطلعون على مواقع النجوم في السماء وتفسيرها حسب الأحداث كالولادة مثلا ، كما كانوا يعتمدون على مظهر الفرد وتشبيهه حسب الحيوان مثلا ويتنبئون بطبعه وسلوكه حسب الحيوان الشبيه به وهكذا كانت هذه الاعتقادات والتفسيرات السلوكية للبشر تختلف حسب الديانات و الطقوس أو الخيال البعيد إلى غير ذلك.

وفي نفس الوقت كان كبار المفكرين يتأملون في الطبيعة الإنسانية ويفسرونها حسب آرائهم ومعتقداتهم فمثلا عل سبيل المثال ،وصف "**بنتام** –أن الكائنات الإنسانية كائنات عقلانية تضع قراراتها بتوجيه من المصالح الذاتية "

أما "**توماس هوبز** يرى أن الإنسان كائنا أنانيا وعدوانيا يحتاج إلى حكومة وسلطة قوية تضبط اندفاعاته وسلوكه .

وقد كان أساس تلك البحوث و الأفكار والآراء في ذلك الزمان و العصور القديمة كملاحظات أولى و المباشرة للإنسان الابتدائي في ذاته ومن حوله، أن الأحلام التي كان يراها الإنسان والإصابة بالإغماء مثلا أو الغياب عن الوعي أو الموت فكل هذه الأحداث نبهت الإنسان في ذلك الزمان القديم إلى وجود شيئين في ذاته هما وجود مادي ووجود شيء آخر خفي يذهب ويعلوا في السماء وينفذ ما في الأحلام ثم يعود إلى الجسم عند الاستيقاظ أو يغيب في مكان مجهول عند الصرع أو يغيب دون رجوع عند الموت ، وهكذا استدل الإنسان على أن في ذاته

شيء آخر غير هذا الهيكل المادي المتحرك أحيانا و الجامد أحيانا وكما أطلق أيضا على ذلك الشيء الآخر أسماء مختلفة كالروح – النفس – الذرات النارية...الخ ، إلى أن توصل الإنسان عند التأمل في ذاته بغية فهم نفسه إلى ثلاث مصطلحات (**النفس psyche– الروح spirit– العقل mind**)فهذه الكلمات فجرة الأفكار بالأبحاث أثارت النقاش و الجدال الطويل وشغلت هذه الكلمات أفكار الفلاسفة و العلماء و رجال الأديان فترة طويلة من الزمن .

وهكذا أصبح مجال واسع في البحث من أجل وصول إلى تعريف ثابت ومقبول ومعترف به من الجميع لتلك الكلمات النفس – الروح – العقل.

كما كان **أفلاطون** من أوائل الفلاسفة المتكلمين عن النفس إذ قال " عنها نقطة اتصال عالمين هما عالم المثل وعالم الحس وأنها ذات جوهر روحي ومادي وقال أيضا الجسد كأنه سجن للروح أثناء الحياة "

أما **فيثاغورث** وأتباعه قالوا عن النفس من جنس مخالف للبدن تتركب من جزيئات هبطت من الشمس ودخلت الأجساد فأحيتها ووهبت لها الحركة .

وتكلم **ديموقراطس** عن النفس بأنها عدد من الذرات النارية تختلط مع ذرات أخرى وتكون الجسم وهي سبب الحياة و الحركة وإذا فرقت هذه الذرات الجسم سببت له الموت .

أما **أرسطو** فقد عرف النفس بأنها صورة البدن تتميز عن الصور الأخرى و المتصلة بالمادة بأنها صورة عاقلة تسمو على البدن ، وحينما ظهرت المسيحية هالها ما رأت من إغراق الناس في لذائد الحياة وزخرفها فنادت بحياة الروح وبوجوب كبت رغبات الجسد وكبح العاطفة كما أن الرهبان آمنوا بحقيقة واحدة وهي الإلهية وأصبحت هذه العقيدة السائدة عند المسحيين .

ثم جاءت العصور الفلسفية الإسلامية حيث تكلم **ابن سينا** " أن النفس كمال أول للجسم طبيعي آلي ، وأنها جوهر

مستقل ومخالف للبدن وهو يراها جوهر روحي تفيض من العالم العلوي فتحل في البدن كارهة وتغادره كارهة أيضا "

ولكن الحقيقة التي يمكن إدراكها أن هذه التعاريف المعرفة للنفس وكذا كما يعرف بالروح و العقل ما هي إلا اقتباسات من فلاسفة الإغريق ولا يمكن اعتبارها تعاريف إسلامية والمعنى الحقيقي للنفس لقد ورد في الكتاب الكريم القرآن وفي أحاديث الرسول **صلى الله عليه وسلم** .

بعض الآيات القرآنية الكريمة:

"**واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة** " سورة البقرة آية 47

"**لا تكلف نفسا إلا وسعها**" سورة البقرة آية 233

"**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا**" سورة آل عمران آية 30

"**ليجزي الله كل نفس ما كسبت**" سورة إبراهيم آية 51

" **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها** " سورة السجدة آية 13

" **ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها** " سورة المنافقون آية 11

الأحاديث النبوية:

روى النسائي عن عبد الرحمن بن أبي عميره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما من نفس مسلمة يقبضها ربها تحب أن ترجع إليكم وأن ترجع إليكم وأن لها الدنيا وما فيها ، غير الشهيد** ".

ولنتكلم الآن بإيجاز عن الروح و العقل الكلمتين اللتين كثيرا ما كان يعني بهما النفس ، وكأن الكلمات الثلاثة النفس – الروح والعقل مترادفة ولكن في كتب كثيرة فرقت الروح عن النفس و العقل .

أما ابن رشد فانه يرى أن مسألة الروح من أعقد المسائل ، ويقول في سياق الحديث عنها "فالكلام في النفس – يعني الروح – غامض جدا وإنما اختص الله به من الناس العلماء و الراسخين في العلم ، ولذلك في قوله سبحانه مجيبا"**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من علم إلا قليل**" سورة الإسراء آية 85 .

أما عن العقل فلقد قيل عنه بأنه الملكة التي تكتسبها النفس مع الزمن والتي تؤدي إلى الخبرة الأخلاقية التي تميز بين الخير و الشر ، وفرق الإمام الغزالي بين النفس و العقل وقال بأن العقل كلمة تستخدم للدلالة على معاني ثلاثة :

1- العقل الأول وهو أول المخلوقات ويطلق عليه اسم المعلول الأول واسم المبدع الأول وهو المقصود في قول الذي ينسب إلى الرسول **صلى الله عليه وسلم** (أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر)

2- العقل الثاني وهو المقصود به النفس الإنسانية

3- العقل الثالث الإدراك الذي يقابل الإحساس.